مظاهر الحياة الثقافية للطبقة العامة في ممالك السودان الغربي حتى نهاية القرن العاشر الهجري

ا.د. زمان عبيد وناس م. عطارد تقي عبود

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

MANIFESTATIONS OF THE CUTURAL LIFE OF THE PUBLIC IN KINGDOMS OF WESTERN SUDAN UNTIL THE END OF 10TH CENTURY AH.

Asst.Prof.Dr.Zaman Obaid Wannas

University Babylon / College of Education for Humanitarian Sciences
Lec. Atared take Abood

University of Karbla / College of Education for Humanitarian Sciences
1982@gmail.com

Abstract

The comprehensive study western sudan makes it imperative for the researchers to study the society culturally. Since then, the culture and thought of the people of Sudan was the environment of the ruling class, the old Sudanese beliefs and the nature of the traditions of society blended with the old heritage and intruder due to the spread of Islam throughout this country, which coincided with the aspirations of the rulers and kings after A proceeded according to their terms, clergy anneal religion consensus approach and desires of power, Vetohdt their interests, and then imposed on the imams, and that formed the culture of the society in the period of this study

KEY WORDS:WESTERN SUDAN- KINGS –PUBLIC-THE CUTURAL

الملخص

ان الدراسة الشمولية تحتم على الباحثان دراسة مجتمع السودان الغربي ثقافيا، فالثقافة والفكر والايدلوجيات تصبح رهينة الطبيعة المتحكمة بواقع الفرد، وليس بعيدا ان نفهم ان البروقراطية هي الحاكمة في عموم بلاد السودان، وساندتها طبقية البيوقراطين أو لنقل اثر رجال الدين في سياسات البلاد التي جاءت موالمة لرغبات البيروقراطية السودانية، ومنذا فأن ثقافة وفكر أهل السودان كان يمثل بيئة الطبقة السائدة المعتقدات السودانية القديمة وطبيعة تقاليد المجتمع الممزوجة بالموروث القديم والدخيل من جراء انتشار الاسلام في ارجاء هذه البلاد التي توافقت مع تطلعات الحكام والملوك بعدما سارت وفق شروطها، فرجل الدين يطوع الدين لتوافق ونهج ورغبات السلطة، فتوحدت مصالحهم، ثم وفرضتها على الامة، ومن ذلك تشكلت ثقافة المجتمع في مدة دراستنا هذه.

الكلمات المفتاحية: السودان الغربي– ملوك– العامة– الثقافة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد...

لقد تعاقبت على منطقة أفريقيا الغربية التي عرفت تاريخياً باسم بلاد السودان الغربي دول وامبراطوريات، كان لها أثر كبير في مجرى البلاد والاراضي، شملت دولة غانا ومالي والسونغاي، وغانا تعد أولى حلقات التاريخ القومي لغرب افريقيا، فهي اول دولة قامت في السودان الغربي، وقد دل على تحضرها قياسا بالآخرين هنالك بقائها الى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ؛ اتسعت رقعتها وامتدت من نهر النيجر الى ساحل المحيط الاطلسي غربا وشمالا عند حافة الصحراء الكبرى، وبعد تفكك دولة غانا عام ٤٦٠هـ/١٠٧٦م، وجد فراغ سياسي في المنطقة، جعل عددا من الاقاليم التابعة لغانا تنفصل عنها وتكوين دويلات مستقلة، تمخض عنه قيام قبائل الماندنجو القاطنة في مقاطعة (كانجاب)، بأقامة دولة مالي، بقيادة سندياتا كيتا، ومالي تغطي مساحات شاسعة من الاراضين، فهي تمتد شمالا الى تخوم المغرب الاقصى، وغربا الى المحيط الاطلسي، وشرقا الى حدود بلاد البرنو، وحالها حال أي دولة فقد عجلت عوامل مجتمعة على انهيارها وسقوطها، وقيام قوة جديدة، أخذت مكانها في منطقة السودان الغربي هي دولة السونغاي، ولم تبلغ ايا من الدولتين السابقتين، ما بلغته دولة السونغاي من القوة، والسيطرة أثناء القرن التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. ومنذا فقد فرضت طبيعة الدراسة ان تسير بخطة مفادها انها من مقدمة ومبحثين، تضمن المبحث الاول جغرافية افريقيا الغربية والثاني مظاهر الحياة الثقافية والسياسية للطبقة العامة واثرهم فيها، قدمنا في المبحث الاول عرضا مفصلا عن جغرافية المنطقة أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن المستوى الثقافي للعامة، ثم تأتي الاستنتاجات التي توصلنا اليها، وبعدها قائمة المصادر والمراجع الحديثة المعتمدة في انجاز هذا البحث.

المبحث الاول: جغرافية افريقيا الغربية

تاريخيا يرجع الفضل الى المؤرخين العرب الذين اهتموا بشكل فاعل في كشف حدود هذا الاقليم _ ان صح ان تطلق عليه لفظ اقليم_ فهم اطلقوا عليه مصطلح بلاد السودان الغربي وعلى شعب تلك البلاد بالسودان وأصل هذه التسمية لديهم مستوحاة من لون البشرة عند سكان تلك المنطقة، اما مصطلح السودان الغربي فهو المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة من المحيط الاطلنطي غربا وبحيرة كوري شرقا شمال خط

الاستواء وجنوب الصحراء الكبرى بين خطي عرض ١١و١٧ شمالا[١]. وتبلغ مساحة غرب افريقيا أو السودان الغربي نحو ٢,٤مليون ميل مربع أي حوالي ٢٥مرة من مساحة بريطانيا، ونحو ٥/٦ من مساحة الولايات المتحدة وتقدر المسافة بين طرفيه بنحو المسافة بين موسكو ولندن[٢].

فاصطلح بعض المؤرخين اليونان والرومان على منطقة السودان الغربي والاوسط مصطلح (تجريتا) نسبة لنهر النيجر، والذي اصطلح عليه هذه التسمية المؤرخ الجغرافي الروماني بليني حوالي ١١٥م، ومعناها الاجناس السوداء[٣] واطلق العرب بلاد السودان على المناطق التي تشغلها حاليا السنغال ومالي وفولتا العليا، والنيجر واجزاء من موريتانيا وغينا ونيجيريا[٤]

علما ان لفظ السودان في المصادر العربية لا يقتصر على جزء القارة الغربي بل معيارية التسمية كانت تطلق على لون بشرة الاقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، لأنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ احيانا على كل السود الإفريقيين الذين يسكنون في بعض المواقع، ويتضح ذلك من الرسالة التي كتبها الجاحظ وأسماها " كتاب فخر السودان على البيضان" فأنهم لا يقصرون لفظ السودان على ذلك الجزء الواقع في غرب أفريقيا[٥]

وذكرها القلقشندي[٦] قائلا: "وهي بلاد متسعة الارجاء رطبة الجوانب، حدها من الغرب البحر المحيط الغربي، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن والامكنة المجهولة الحال شرقي بلاد الزنج في جنوبي البحر الهندي، ومن الشمال البراري الممتدة فيما يلي الديار المصرية وارض برقة، وبلاد البربر من جنوبي المغرب الى البحر المحيط"

وحدد ابن حوقل [٧] منطقة السودان فقال: "وأما جنوبي الارض من بلاد السودان فأن بلدهم الذي في اقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال غير ان حدا له ينتهي الى البحر المحيط وحدا له ينتهي الى برية بينه وبين ارض مصر على ظهر الواحات التي لا تنبت ولا عمارة فيها من شدة الحر".

ويصف الادريسي بلاد السودان الغربي بالقول[٨]: "إن أكثر هذه الأرضين التي سميناها صحار متصلة وقفار غير عامرة وبلادها قلائل متباعدة ومنافعها قليلة والسلوك فيها صعب لاختلاف أممها وتعذر طرقها".

حدود افريقيا (بلاد السودان)

تحد افريقيا حسب الوزان[٩] بالنيل من الناحية الشرقية ابتداء من روافد بحيرة كاوكا جنوبا الى مصب هذا النهر في البحر المتوسط شمالا من مصب النيل وتمتد غربا الى اعمدة هرقل، ثم تمتد غربا من هذا المضيق الى نون الذي هو اخر أجزاء ليبيا على ساحل البحر المحيط، ومن ثم يبدئ جنوب افريقيا ليمتد على طول البحر المحيط بها كلها الى صحراء كاوكة.

وتنقسم بلاد السودان الى ثلاثة اقسام هي:

١- السودان الغربي، ويشمل حوض السنغال ونهر غمبيا والمجرى الاعلى لنهر فولتا العليا والحوض الاوسط لنهر النيجر.
٢- السودان الاوسط، ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد بين خطي عرض ٢٢شمالا، ١٠ جنوبا، وبين خطي طول ١٠ شرقا، ١٥غربا.
٣- السودان الشرقي: ويمتد من البحر الاحمر شرقا حتى حدود اقليم دارفور غربا وتضم الحوض الاعلى والاوسط لنهر النيل اضافة الى ساحل شرق افريقيا قد غلب عليه عند العرب ماقبل القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي- السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي اسم بلاد الزنوج الا ان كلمة السودان كانت تشمله ايضا[١٠].

المبحث الثاني / مظاهر الحياة الثقافية في السودان الغربي

، ومن أولى مظاهر الثقافة هي الحركة العلمية التي شكلت عموم مظاهر الثقافة في هذه، ومناطق التأثير الثقافي قد تمثلت بالاماكن التالية:

اولا: المسجد:

كانت المساجد هي الركيزة الاولى للتعليم في هذه البلاد خاصة التعليم الديني الذي اهتم العامة بتحصيله في المقام الاول، فاشار الوزان بذلك[١١]:" ولديهم عدة جوامع وائمة واساتذة يعلمون في الجوامع لعدم وجود مدارس ".

فالمساجد هي المكان الاول والرئيس للتعليم ثم أستمرت هذه المساجد تؤدي رسالتها التثقيفية بجوار المدارس وغيرها من أماكن الدرس والتحصيل ثم تطورت هذه المساجد بحيث أصبحت جامعات تدرس فيها المراحل النهائية للتعليم.وكان أهم مركز ثقافي في بلاد السودان الغربي: مسجد سنكري و أطلق على هذا المسجد جامعة سنكري وقد بنت هذه الجامعة سيدة غلالية فاضلة تدعى فاطمة، واصبحت سنكري منارة من منارات العلم والعبادة تشع بنورها على أرجاء المعمورة، وقد درس بها صفوة من علماء الشمال الافريقي منهم

الشيخ أحمد زروق الفاسي ومحمد الفاسي ومحمد بن علي الخروبي والشيخ الحطاب وغيرهم من رواد العلم، وقد اهتم حكام السودان الغربي بهذه المنارة وقد تم تجديدها في عدة حقب تأريخية، فقد جددها القاضي العاقب في سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م.وقد تعاقب عليها عدد الائمة منهم الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت والامام أندغ محمد بن الفقيه المختار(*)(١٢)، وقد ذاع صيت هذا المسجد بما بلغته من مستوى علمي رفيع وجعلت من مدينة تمبكتو عاصمة من عواصم العلم والادب في السودان الغربي وقد انفتح هذه المسجد على عديد من مراكز العلم في الشمال الافريقي والاندلس، فاس ومراكش وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها من مراكز الحضارة اذ كان التشابه واضحا بينها وبين جامعة القرويين بفاس في التدريس واساليبه وفي المناهج التي كانت تدرس في فاس وتمبكتو، كما توافد طلاب منها الى مدينة فاس من أجل التزود بالعلم وما رحيل القاضي كاتب موسى الى مدينة فاس لتعلم العلم في عهد مملكة مالي الاسلامية بأمر من السلطان العادل موسى دليل واضح على الامتزاج الحضاري بين جامعة سنكري ونظيرتها بالشمال الافريقي(١٣). في مواكبتها للعلم وانتقال العلماء الامر الذي جعلها تواصل مسيرتها العلمية الرائدة على يد السلطان منسا موسى الذي انصب جل اهتمامه عليها وجلب لها صفوة العلماء والفقهاء من الاماكن المختلفة للتدريس بها واحضر لها نوادر الكتب من مصر والحجاز ومن الاقطار التي مر بها، ومن ثم انفق جزءا من أموال مملكته على شراء الكتب وهذا يعتبر بحق مفخرة لهذه الجامعة (١٤). والمسجد الجامع بتمبكتو(*)، والمسجد الجامع بجنى ومساجد كاو، عاصمة دولة سونغاي التي سبقت مساجد تمبكتو في دورها التعليمي ومسجد هيب بكستانيا والذي بني على طراز مساجد سونغاي وجني في الحارة المسماة بأنتارا والمساجد الجامعة بكانو ومدن الهوسا الاخرى، والمساجد الجامعة ببرنو مثل مسجد غسرغمو _عاصمة برنو_ المشهورة، وهي مسجد غريبايا ومسجد تالي ومسجد ايامو ومسجد ديامو ويضم كل مسجد من هذه المساجد البرنوية اثني عشر ألفا من المسلمين كل جمعة (١٥).

والمساجد منتشرة في جميع أرجاء البلاد ولكل مدينة مسجدها أو مساجدها، فعندما كانت مملكة سونغاي خاضعة لامبراطورية مالي أهتم ملوكها بنشر الثقافة الاسلامية في مدينة كاو بصفة خاصة فقد أمر السلطان منسا المهندس الاندلسي أبو بكر اسحاق الساحلي الشاعر القرطبي والمهندس الذي قدم معه من مكة أثناء حجته عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م ببناء مسجد جامع بمدينة كاو فبنى له مسجدا جامعا سنة٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م صار جامعة اسلامية يؤمها العلماء والطلاب من كل مكان(١٦).

وكانت المساجد خير الامكنة التي انتشرت منها بحوث وتآليف العلماء والفقهاء وتلقى فيها الدروس فيذكر الفتاش[١٧] ان الامام محمد بغبغ كان يجلس في مسجد سيدي يحيى[*] يحاضر طلبته الذين جاؤا من كل فج ينشدون العلم والمعرفة ويذكر ان هذا العالم كان يجمع بين فضيلتي التدريس والقضاء.

لذا نقول ان رمزية هذه المساجد وفرق التعليم فيها والهالة التي وضعت لرجال الدين منحه مكتنه في المجتمع تأتي بعد الحكام ثقافة المجتمع ومعتقداته وتحكمت العامة وشكلت نمط انتاجهم بصورة كاملة.

ثانيا:الكتاتيب: ولان الكتاتيب تعد الرديف الحقيقي للمساجد، وسائر على نهجه، لان معلمي الكتاتيب تلقوا ثقافتهم أول أمرهم في مساجدهم، وبعدها راحوا ينتقلون ما تثقفوا به الى الشيء الجديد، وبذا تطبع الكل بالسائد من الثقافة التي قرضتها عليهم بيئتهم.

وتأثير الكتاب قد يسير بأتجاهين، أما ان يكون تأثيره ايجابيا اذ يدفع طلبة العلم وتلاميذه الى تعلم المعارف وفنون العلم المختلفة، أو ان بفرض على المجتمع وخاصة العامة من الناس نوع محدد من العلم يركز فيه على دراسة العلوم المتصلة في الدين وفق منهج المتحكم بهذا المسار فيروض المجتمع، فتكثر الخزانات في بعض الاحيان، لجعل قدسية الدين غلاف يسير تحت ظله في فرض رؤياه على الناس، ومثال ذلك ماتناقلته كتب بلاد السودان عن أحمد بابا التمبكتي الذي كان يمشي ذات يوم في السوق فلامست جلبابه سمكة وبعد ذلك لم تشوى السمكة لانها لاحة جلباب عالم من رجال الدين، ومن هذا يمكن ان تعم مستوى المجتمع الثقافي، وخاصة العامة، بل ان المؤلف والكاتب الذي يعد من مصاف المثقفين في ذلك العصر كتب هذا وقولنا فيه.

لذا فالكتاب تعد حجر الاساس في التعليم وهي البوابة الاولى التي يدخل منها الطالب الى مدارج العلم فعندما يصل الصبي الى السابعة او مادونها يعهد به والده الى معلمي الكتاتيب (المدب) لتعليمه مبادئ القراءة والكتابة العربية وتحفيظ النصف الاخير من القرأن الكريم وكذلك تدريبه على الصلوات الخمسة ولكن أداءها لايصبح اجباريا عليه الافي سن العاشرة [١٨].

كان التعليم بجميع أدواره يجري في المساجد أو الجوامع وفي نهاية عهد السونغاي بدأ ظهور الكتاتيب القرآنية، واتخذت العرصات والدور وبعض المخازن التجارية المهجورة كأمكنة لاحتضان الصبيان المقبلين على التعليم الاولي واختصت الدور بتعليم البنات في الغالب فكانت الفقيهات يتولين العناية بهن وحتى ببعض الصبية الذكور[١٩].ويلاحظ ان للنساء دور في هذه المرحلة بتعليم بعض المناهج من حفظ الارقام والحروف الابجدية

وعلامات التشكيل التي يأخذونها بعد رحيل معلميهم الذي كثيرا مايكون فيه مترحلين فيتفقون ثم يتابعون السير والتدريس[٢٠].

ولايستطيع المرء ان يجزم بأن الكتاب كان منفصلا انفصالا تاما على الرغم من أن بعض الدارسين يؤكد ان التعليم للصبيان كان منفصلا عن المساجد، ولكن منهم من يؤكد ان المسجد والكتاب للصغار كانا متلازمين مما يعني ان التعليم لم يكن بداخل المسجد ولكنه كان ملتصقا به[٢١]. واشتهر مسجد الونكريين بهذا النوع من التدريس[٢٢].

ويطلق على المرحلة التي يدرس فيها معلموا الكتاتيب بأسم مرحلة التعليم الابتدائي ويتولوا اعمالهم بشكل حر في البداية ولكن لم يكن يتصدى لهذه المهنة الامن يأنسون في أنفسهم الكفاءة اللازمة لمهنتهم مثل حفظ القرأن والالمام بمبادئ اللغة والفرائض واتقان الخط، وكانت هذه هي المواد الاساسية في مناهج الكتاب، وكان دخول الاطفال الى الكتاب في المرحلة الخامسة غالبا، ويمضون مرحلة الصبا بتمامها وهي ضرورية لكل طالب لانه بدونها لايتأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل[٢٣].

ثالثا: المدارس:

كانت المدارس في افريقيا الغربية تمتاز بظاهرة عامة هي ارتباطها الشديد بالدين ففي اول الامر كانت المدارس ملحقة بالمساجد فالى جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الاولاد وكذلك انشئت أماكن النوم للطلاب الغرباء على ان المساجد كانت بمثابة المقر الرئيسي للتعليم وكانت تعقد فيها حلقات الدروس أو المناقشة في امور الدين [٢٤] فيذكر لنا ابن بطوطة [٢٥]انه وجدت لأهل زاغة مدرسة بجوار المسجد وانهم كانوا قدماء في الإسلام. ولهم ديانة وطلب للعلم.

كانت هنالك مدارس نظامية يلتحق بها الطلبة بعد انتهاء مرحلة الكتاتيب وتعرف بأسم التعليم الثانوي والعالي، وتأتي هذه المرحلة بعد الانتهاء من دراسته في المساجد والكتاتيب حيث ينتقل الى جامع الونكريين حيث يمكن اعتبار الدراسة فيها من النوع الثانوي، اما في جامع السنكري فكان الطلاب يتلقون التعليم العالي[٢٦]. ولايوجد فوارق بينه وبين التعليم في الكتاتيب واشتهر جامع السنكري بهذا النوع من التعليم حيث تدرس المواد في شكل اختصاص وتتناول بتفصيلات واسعة وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون حتى ذلك العهد وكان لايجلس للتعليم من هذا النوع الا أساتذة متضلعون قد أحاطوا بكل جزيئات المواضيع التي يدرسونها ودليل تضلعهم هو:

١- ان امهات الكتب التي كانت تدرس في المشرق والمغرب العربيين كانت تدرس في السودان الغربي خلال هذه الفترة ايضا

٢- ان الفقيه عبد الرحمن التميمي المغربي الاصل، ورد من الحجاز على تمبكت مع منسا موسى وجلس في الجامع للتدريس ولكنه مالبث ان أدرك ان المدرسين حواليه أكثر تضلعا منه فرجع الى فاس ليزداد تخصصا حتى يمكن ان يتصدر للتدريس بالسودان [٢٧].

لم يعرف السودان الغربي كما هي الحال بالنسبة الى العالم الاسلامي في العصور الوسطى مرحلة التعليم المتوسط التي تؤهل للالتحاق بمرحلة التعليم العالي او الجامعي فكان على الطالب الذي يجتاز مرحلة التعليم الاولى والذي يعتقد بقدرته ورغبته في مواصلة تعليمه العالي ان يتولى تعليم نفسه بنفسه من خلال دراسة حرة غير نظاميه في مسجد المدينة حيث يتلقى الدروس في حلقات دراسية على أيدي بعض المدرسين والعلماء الاكفاء في مواد دراسية مختلفة [٢٨].فتدرس الكتب المبسطة، تتمثل في دروس اللغة والمبادئ الاولى في العلوم الشرعية والمنطق والحساب وكان الطالب في هذه المرحلة يندرج من دراسات المؤلفات البسيطة الى دراسة المؤلفات المفصلة مع شروحها وحواشيها [٢٩].

أما عن نظام التعليم الخاص بالعامة فيمكن القول بأن هذا التعليم لايتعدى المرحلة الاولية بالنسبة للعامة والتي أهتم فيها الفقهاء بتعليم الاطفال القراءة والكتابة وتحفيظ القرأن وكان يتم في المساجد والكتاتيب[٣٠].

وبازدياد قوة الاسلام وظهور المرابطين في القرن العاشر ألحقت المدارس بالرباط وهو المكان الذي يقيم فيه المرابطون التعبد.وقد قلد الافريقيون هذا النوع من المدارس فأصبح الى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية والدينية مدرسة لتعليم الاطفال[٣١].

وفي الواقع فأن نظام الزوايا هذا كان من التأثيرات الصوفية، حيث قام أتباع الطرق الصوفية الزوايا للعبادة والدرس والتفقه في امور الدين وكان لكل طريقة تنظيماتها وأعضاؤها وعلى رأسهم شيخ الطريقة وهي على ثلاثة انواع:

- النوع الاول: الزاوية البسيطة وهي التي لم تنشأ على ضريح ولي.
- النوع الثاني: التي تنشأ على ضريح ولي من أولياء الله.
- النوع الثالث:فهي الزاوية التي يقيمها أصحاب الطرق الصوفية، حيث يرددون فيها الاناشيد والاحزاب والاوراد وهي اشبه شيء بالخانقاة الشرقية وهل اشبة شيء الان بالمدارس الاعدادية [٣٢].

رابعا:المكتبات

عرف مجتمع السودان الغربي المكتبات التي تقوم عليها أي نهضة علمية أو فكرية اذ حرص علماء المنطقة وحكامها وأمراؤها على تكون مكتبات علمية قامت بدور فعال في نشر العلم والثقافة في المنطقة لايقل دورها عن دور المساجد والمدارس في النهضة العلمية التي سطع شعاعها في السودان الغربي [٣٣] واصبح الاغنياء يتفاخرون بمكتباتهم وأتخذ أسكيا داوود خزائن الكتب وكذلك أتخذ نساخ ينسخون له الكتب، وربما هادى بها العلماء بل كان هو احد حفاظ القرآن الكريم [٣٤].

وبلغت تجارة الكتب منزلا كبيرا بما تدره من ارباح ويباع الكثير من الكتب المخطوطه التي تأتي من بلاد البربر ويجنى من هذا البيع ربح كبير يفوق بقية كل السلع [٣٥].

خامسا: المحاضر(المجالس البدوية المتنقلة)

صارت الحركة الثقافية تتجه من المدن الى البوادي والارياف وذلك نتيجة للتحولات الجديدة التي شهدتها المنطقة وظهر نتاجا جديدا عرف بأسم المحاضر ومعناها الجامعات البدوية المتنقلة وصار يفد على هذه المحاضر جموع الطلاب من مناطق نائية نسبيا ولهذا صاروا يسمون (تلاميذ الغربة)وهم يحلون ويظغنون مع الحي البدوي الذي يوجد فيه شيخ محضرتهم دون ان تتعطل دراستهم [٣٦].

ولقد استعرض الخليل النحوي شهادات الباحثين التي اجمعت على الاشادة بهذه المؤسسة العلمية الفريدة من نوعها في العالم الاسلامي ان لم يكن في العالم قاطبة، وقد رجح الخليل النحوي ان قيام المحاضر يقوم بسبب عدة عوامل أهمها:

١- انتشار الاسلام ودعوته للعلم والحماس الديني الذي اثمر حبا خالصا لحياة المحضرة [٣٧].
٢- تجارة الصحراء والمحيط، نشطت حركة القوافل التجارية عبر الصحراء منذ القرن الثاني للهجرة متخذتا طرق ومسالك عديدة[٣٨]. فكان القرن السادس عشر قد قيض خلاله لمدينة تمبكتو ان تصبح محطة القوافل الاولى في كل بلاد السودان فسكنها الكثير من التجار وقصدها جم غفير من العلماء والطلاب مما بوأها اثناءه مكانة المدينة الاولى للعلم والثقافة في السودان الغربي كله وفي تلك الحقبة وصفت بام مدائن السودانيين سواء في العلم والحضارة أو في العمران والتجارة[٣٩].
٣- الهجرة الى البلاد، هي نزوح جماعيا لموجات بشرية ذات شوكة تركت آثراها حيث مرت واستوطنت الصحراء وبالرغم من ان هذه الهجرات لم تكن منظمة ذات حجم ووزن مثير للاهتمام ولم تستهدف السيطرة السياسية [٤٠].

٤- الحروب والنزاعات القبلية، كانت الحروب أيام المرابطين، تخوضه قوة اجتماعية منظمة ولم تنتقض دعائم دولة الملثمين حتى أخذت الحرب مسارا جديدا فعلى مر القرون ظلت القبائل تتناحر في الصحراء لاوازع لها ولارادع فاذا لم تجد القبيلة من تحاريه حاربت نفسها فانشطرت فريقين يختصمان ويقتتلان وليس من البديهي اعتبار هذه الحروب حافزا من حوافز العلم فقد فرقت بين الاخوة ودمرت المدن وقوضت اركان الدول وهلك فيها خلق كثير منهم العلماء والشعراء والكتاب(٤١).

٥- حياة البداوة، فقد كانت حياة الظغن التي الفها أهل الصحراء دربة لهم على تحمل مشاق السفر وتجشم عنائه فلم يتردد كثيرا منهم في ضرب اكباد الابل أو السير على الاقدام لحج بيت الله الحرام ولاكتساب العلم واقتناء الكتب(٤٢).

٦- الرحلات الدينية والعلمية، لقد كان سكان الصحراء بحكم طبيعتهم البدوية أقوياء على السفر ذو جلده عاليه وقدره على مكابدة تعبه ونصبه، فكانوا يضربون في الارض ويقطعون المسافات الواسعة منها ماهو ديني الذي اقترن برحلات الحج وقد اقترنت هذه الرحلات بالعلم فكان الحجاج يعودون وقد أدوا فرضهم ونهلوا من العلم وتلقوا اجازات وكتب، لقد ساعدت هذه الرحلات على تطوير المحضرة واثرائها حتى صار باستطاعت القوم وقد بلغوا في العلم شأوا بعيدا ان يقولوا عن ثقة:" القراية في الرأس ماهي في فاس ولامكناس " ولكنهم مع ذلك شدوا الرحال كثيرا الى المغرب لطلب العلم (٤٣).

٧- المراسلات، ومما يجري من مجرى الرحلات العلمية في نقل المعارف "المراسلات" والمحفوظ منها قليل الان الاستفادة منها أكيدة أذا اعتبرنا ان الاتصال عبر القوافل والمسافرين كان قائما وان علماء البلد تعرفوا خلال اسفارهم أو عن طريق المسافرين على عدد من معاصريهم من علماء الاسلام فلا يستغرب ان يكتبوا اليهم ودليل ذلك رسالة أحد المشتغلين بالعلم في بلاد التكرور كتب فيها الى الامام جلال الدين السيوطي يستفتي عن بعض الاحكام الفقهية وذلك في شهر شوال سنة ٨٩٨هـ.وللرسالة أهمية خاصة نظرا لقدمها من جانب ولانها تشير الى مستوى من الاتصال والمعرفة العلمية(٤٤).

٨- الطرق الصوفيه، دخلت عدة طرق صوفيه الى البلاد والتحم التصوف بالعلم في رحاب المحضرة وكانت الزوايا الصوفيه في البلاد سندا للمحاضر في تدريس علوم القرآن الكريم والحديث والفقه أصولا وقواعدا وفروعا والسيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وعلوم اللغة العربية وعلم اسرار الحروف (٤٥).

مناهج التعليم:

انصب الاهتمام في مناهج التعليم على حفظ القرأن الكريم فكان اهل مالي يضعون القيود في ارجل اولادهم ولايطلقونها منها الابعد ان يحفظوا القرآن الكريم ويصف لنا ابن بطوطه(٤٦) ماشاهده بالقول:" دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له: ألا تسرحهم فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوماً بشاب

منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل. فقلت لمن كان معي ما فعل هذا أقتل ففهم عن الشاب وضحك وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن".

وكان تحفيظ القرآن وقراته في الغالب على رواية الامامين ورش(*) وقالون(*)، وقد انتشرت الرواية الاولى من شمال افريقيا ووسط وغرب افريقيا، اما الرواية الثانية التي تنسب الى الامام قالون (عيسى بن مينا) فقد انتشرت في كل من ليبيا وموريتانيا وبعض أهالي تونس والجزائر(٤٧).

ودخل هذا النوع من التعليم في هذه البلاد منذ وقت مبكر أي منذ دخول الاسلام الى هذه البلاد ففي مدينة كومبي صالح عاصمة غانا كان القسم الاسلامي في هذه المدينة يضم اثنى عشر مسجدا وعددا من الكتاتيب لتعليم القرأن الكريم(٤٨)، وبلغ عدد المدارس القرآنية في تمبكتو أيام أزدهارها ١٨٠ مدرسة تضم ٢٥٠٠٠من الطلبة والتعليم بها مجانا(٤٩).

وقام الفقهاء بتحفيظ القرآن لبعض الطلبة الذين كانوا يقومون بدورهم بتحفيظ القرآن للاطفال وكان يأتيهم الاولاد الصغار بكثرة ورغم وجود العديد منهم فأن كل واحد كان يجد الاقبال الكافي عليه لكثرة الاطفال وكثرة سكان المدينة آنذاك حيث انهم كانوا يقدرون باكثر من ثلاثين ألف ساكن وكان لطلبة القرآن وشيوخهم حركة دائبة في القراءة على الاموات والحضور في مختلف الافراح العائلية أيضا(٥٠).

كان التعليم في القرى الصحراوية كأروان وولاته اجباريا على الذكور والاناث من ابناء الزوايا أو البيوتات العلمية، فاذا بلغ الصبي سن الخامسة يحفظ الحساب من الواحد الى العشرة فأن تعلم ذلك يدخل الكتاب الملحق عادة بالمسجد ويبدأ دروسه بتعلم الحروف وحفظ الايات القرأنية ثم ينتقل الى تجويد القرآن ثم يبدأ في دراسة المتن على شيخه(٥١).

كان عدد الكتاتيب مرتفعا في سونغاي ففي تمبكتو مدارس تعليم الصبيان الذين يقرأون القرآن مائة وخمسين او ثمانين مكتبا ذكر الشيخ احمد بن محمد أنه حضر مكتب المعلم على تكريا يوم الاربعاء بعد صلاة الظهر، ودعا صبيانه يأتونه بخمس ودعات وبعضهم عشر ودعات على عاداتهم المسماة الاربع حتى تحصل قدامه الف وسبعمائة وخمسة وعشرون ودعا قال الراوي المذكور اسرحت نظري على الواح الصبيان المتخذه في عرصة داره وعددت فيها مائة وثلاثة وعشرين لوحا، وظننت ان تكون جملة القرآن محصلة في تلك الالواح(٥٢). فيصف لنا الوزان(٥٣) طريقة تعلمهم بالقول: "يعلمهم المعلم القراءة والكتابة وليس في كتاب معين بالاستعانة بالواح خشب يكتب عليها التلاميذ ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن الكريم ويختم القرآن في سنتين او

ثلاث سنوات، ثم يستأنف ذلك عدة مرات الى ان يجد الطفل تعلمه بصوره متقنه جدا ويحفظه عن ظهر قلب أو يدرك بعد انقضاء مدة سبع سنين ومن ثم يعلم الاولاد قليلا من الخط".

كان طلبة القرآن ومعلموهم على أيام الاسيقيين لهم مشاركة اجتماعية واسعة أثناء الحفلات التأبينية والولائم، حيث جرت العادة أن يستدعوا اثناء الولائم العامة والافراح للمنازل فيرتلون جماعيا (عشرينيات الفزارى وتخميسها لابن وهب) وتوزع عليهم الهدايا السنية اثر ذلك. أما حين تحدث الوفيات فأنهم كانوا يرتلون القآن حتى وقت متأخر من الليل وقد يستمرون على ذلك لعدة ليال، وتوزع عليهم الهدايا والصدقات على قدر ممتلكات الشخص المتوفي ومكانة عائلته، فعند موت أحد الاساكي مثلا تصدق عليه أقربائه بقراءة القرآن وذبح بقرات كثيرة، وأعطى الطلبة القراء عشرة عبيد ومائة ودع[٥٤].

عرفنا ان أول الدروس التي يتلقها الاطفال هي القرآن الكريم، تلي ذلك دراسة العلوم الاسلامية المتفرعة عنه كالتفسير والنحو والبلاغة والصرف والفقه والفرائض، وهذه الدراسات تغذي المراحل العليا التالية في تمبكت وفاس والقاهرة فيما اذا اراد الطالب متابعة تحصيله وكانت حلقات الدرس التي يتصدرها الاستاذ ندوات تجرى فيها المناقشات الجدلية والفقهية، اذ كان منطق ارسطو والفلسفة اليونانية ومقامات الحريري مدرجة في قائمة مواد المناهج وكانت طريقة دراسة النحو تعتمد على الاستنتاج أذ يقرأ الطلاب النص الادبي ويناقشون من خلاله بعض المسائل النحوية ثم استخراج القاعدة [٥٥].كذلك كانوا يدرسون الكتب المشهورة في الفقه المالكي مثل المدونة لأبي سحنون والرسالة لابي زيد القيرواني، فقد قرأها واتمها الاسكيا داوود عدة مرات وذلك على يد شيخ يعلمه ويقرئه منذ الصباح الباكر حتى الظهر[٥٦].كما اشار السعدي[٥٧] الى تداولها على نطاق واسع بين أيادي طلاب السودان الغربي وعلمائهم مما يترجم اهميتها وقيمتها العلمية العالية.

أما مختصر خليل[*] فقد ادخل لاول مرة الى السودان الغربي وعلى يد الفقيه محمود بن عمر[*] فكان يدعو العامة في كثير من الاحيان الى محاضراته في البيت بعد صلاة الظهر حتى صلاة المغرب، ثم يواصل التدريس في المسجد حتى صلاة الفجر، وبعد ذلك يعود الى بيته ولم يكن اليأس يتبادر الى ذهنه فكان حليما صبورا على تلاميذه لم يعق البليد أو الجاهل من تلاميذه فكان صبره بهم عظيم جدا [٥٨]. وكذلك موطأ الامام مالك وكتاب الشفا للقاضي عياض السبتي والاسدية والعثماوية وفي علوم اللغة يركزون على ألفية ابن مالك وشروحها المختلفة ويدرسون الصرف والبلاغة والادب والخزرجية في العروض وفقه اللغة وكتب الفتاوي والنوازل مثل:المعيار للونشريسي، كما يدرسون رجز المغيلي في المنطق وشروحه ومن العلوم الاخرى التي كانت تدرس

في المنطقة:علم الخط والتاريخ والتراجم والتصوف والسيرة النبوية والجغرافيا والحساب والهندسة والكيمياء والفلك والطب والفلسفة [٥٩]. ومقدمة التاجوري ومسائل البيع المعروفة بأركان البيع لسيدي محمد بن احمد ميارة الفارسي الذي كان من المناهج التي يدرس في السودان الغربي ودليل ذلك ماورده الدالي[٦٠] من مخطوط يقول فيها:" بسم الله الرحمن الرحيم.قال الشيخ ابو العباس سيدي محمد بن احمد ميارة الفارسي...اركان البع ثلاث...انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه".

وكان من جراء وسائل التعليم هذه وطرقه تدعونا ان نقول:ان التعلم في بلاد السودان الغربي كان ذا صبغة دينية، حكمت على المجتمع ان يسير في ظل تعاليم رجل الدين فسلط الحكم على رقاب الناس، اذ اصبح الامبراطور أو السلطان ظل الله في الارض فقداسته تمنع الكل الا ان ينصاعوا له وان يقبلوا كل مايصدر عنه، حتى ان يمتلك هو وعائلته اسباب الارزاق، فاِحالت ملك واراضيهم اقطاع له، نتيجة الحاشية ورجال الدين الذين تمتعوا بالحصانة الى تقرب النظرة القدسية لهم، فقبع العامة تحت نير الحاجة والفقر، أو ان يسيروا تحت رحمة الطبقة العليا المتحكمة بوسابل الانتاج والمالكة لها في أقل تقدير، مع ان الناس تقرأ وتكتب في الظاهر في النصوص الاانها اقتصرت على مايتصل بتعليم المساجد، فلم نجد على سبيل المثال من يتحدث عن طب العيون أو الجراحة أو الرياضيات أو البصريات أو الفلك في هذه الاصقاع، وحتى الطبقة البرجوازية بقيت هي الاخرى تسير في ظل الاقطاع وتحت رحمتهِ، فلم يكن لها شأن يذكر بل اننا نجد أنها نفسها آمنت بما آمنت به العامة الكادحة من الناس.

وان تقيم نصيب العامة من التعليم نجد ان تكاليف التعليم كانت في بعض الاحيان باهظة كما ان الكتب حتى ذلك الوقت كانت تتطلب جهدا شاقا لنسخها وفي ظل ارتفاع اسعار الكتب كان من الصعب على العوام الحصول عليها، كما انه ماكان يتطلبه التعليم من حفظ للقرآن عن ظهر قلب والوقت الطويل الذي يتطلبه التمكن من الحديث والشريعه والفقه المالكي وكذلك تكلفة السفر الى الخارج كل ذلك جعل التعليم لايصل الى العامة بسهولة بل احتاج الى تضحيات كثيرة وجعل جل اهتمام العامة منصب حول معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن[٦١].

نجد ان اقبال العامة على التعليم كان قليلا بالمقارنة مع الطبقات الاخرى في المجتمع، بل ان الفئة القليلة منهم والتي حرصت على نيل ولو قسط محدود من التعليم كان من الممكن ان لاتقبل هي الاخرى على

التعلم لولا جهود بعض الحكام والعلماء الذين أكتظت بهم المدن السودانية فكان بعض الاساكي يدفعون اجورا سخية تعظيما منهم للعلم وتشجعيا للحركة العلمية في بلادهم(٦٢).

وهذا بأيجاز المستوى الثقافي للعامة في بلاد السودان الذي عاش يقدس الامبراطور _ وما ظاهرة التتريب الا مثال حي عن قولنا _ بوصفه امتداد السماء، وكذا علو شأن الكرامات له، علما ان هذه الثقافة كانت مزيج بين ما ادخلته المالكية من الشرائع التي كانت سائدة في بلاد المغرب والمورثات القبلية السودانية.

وربما أحوال المتعلمين وطرق تعلمهم تعطينا صورة جيدة لفهم هذا الواقع لاسيما للمتعلمين من أبناء العامة وكيف هم أنفسهم قد آمنوا بما آمن به رجال قومهم وساد عليهم فكر الدولة التي زرعته في نفوس الناس، اذ لابد من طاعة السلطان لانها من طاعة الله.

ومنذا أفردنا فقرة تبين أحوال التلاميذ ومعلمي العلم في تلك البلاد، وماسنأتي به توا.

احوال التلاميذ من العامة:

وجد تفاوت كبير في مستوى دخول الافراد في غربي افريقيا كما هو الحال في كل زمان ومكان، فمن التلاميذ من لم يستطع ان يتكفل ذووه بمعيشته أثناء ملازمته العلم سيما ان كان في مكان يبعد عن موطنه مما يتحتم معه البقاء في مكان يشبه ماعندنا اليوم بـ(اسكان الطلاب)أما الذين يصعب على ذويهم التكفل بمعيشتهم فقد كانت رحمة الله تحل بهم على يد الحاكم واهل اليسار(٦٣).

لم تكن احوال الطلبة المعيشية عامة وسهلة فقد كانوا أحيانا يضطرون الى صحبة المعلم اينما ذهب أو يرحلون اليه ومنهم من يقوم بخدمة مدرسه في الفترة التي يقضيها معه التلميذ وربما يظل وفيا ومواصلا للخدمة حتى بعد ان تنقطع الصلة العلمية.ولم يستطع الطالب شراء الكتب او الحصول عليها فيقوم بنسخ تأليف استاذه او نسخ الجزء المقرر عليه للدراسة من الكتب الاخرى (٦٤).

ونجد ان الناحية التثقيفية التي عمت بلاد السودان الغربي بنوع من التدرج والاختلاف فقد شاب دولة سونغاي قصورا في الناحية التثقيفية باستثناء تمبكتو ويعود السبب في ذلك ان التعليم في المدن الاخرى كان محدودا، وكانت المناهج التعليمية أكثر بساطة وسطحية وفي كثير من الاحيان كان الطلاب يتلقون تعليمهم من مدرس واحد وعول كثير من الطلاب على تعلم أصول القراءة والكتابة وكانت هذه المسائلة أكثر أنتشارا بين العامة في المناطق الريفية(٦٥).

واذا كانت استفادة العوام من الحركة الفكرية النشطة في بعض مدن السودان الغربي مثل تمبكتو، والسبب هو ان تمبكتو كانت قد نمت بها الطبقة البرجوازية وهذه الطبقة من شأنها ان تنشط الحياة الاقتصادية فكثر العرض والطلب فيها وتدفقت الاموال مما سهل على الناس طلب العلم لهم ولابنائهم فعلى شأن العلم فيها غير أنه كما أسلفنا سابقا أقتصر على العلوم الدينية فقط، والسبب مثل ماقلنا ان هذه الطبقة لم تكن محررة وأنما أسيرة الثقافة وهيمنة الاقطاع، وكاو وجني في القرن العاشر الهجري لم تكن بالشكل المطلوب فانه ثمة عوامل اسهمت في الوصول الى هذه النتيجة وحالت دون وصول العامة الى المستوى الثقافي المرجو وكان منها:

١- ان بعض العلماء والقضاة والفقهاء الذين اضطلعوا بمهمة التعليم كانوا ممن يجهلون اللغة العربية فأختلطت عليهم بعض الاحكام والفتاوي خاصة وان اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة الفقه المالكي المنتشر مذهبا وثقافة في السودان الغربي ومثال ذلك عندما اوقع عيسى بن عبد الرحمن السكتاني سكان اهل شنقيط بأبدال حرف الصاد بدل حرف اللام في جميع قراءتهم في الصلاة من دون عمد[٦٦].لهذا نجدهم لايعرفون من العربية الاقليلا ومجال علمهم وثقافتهم القرآن وحفظه وتحفيظه ولايفهمون من علومه وعلوم الشرع شيئا أكثر ممايؤدون به الاركان على تخليط عظيم ولهذا فهم اقرب الى العامة من الحيث الافكار والعادات والممارسات[٦٧].

٢- وقيام البعض الاخر من العلماء باستغلال اواسط العامة وكان الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي على علم تام بما يجري في السودان الغربي ولهذا عندما سأله الاسكيا عن هولاء العلماء شدد المغيلي في جوابه وطالب بالضرب على أيديهم حيث كان نص سؤال الاسكيا معبرا عن عدم الامانة فيمن ينسب اليه العلم من القراء في سونغاي بالاضافة الى عجمة لسانهم وانهم كانوا لايفقهون من اللغة العربية الاقليلا وهو مادى الى عدم معرفتهم لمقاصد العلماء[٦٨].

وفي ظل هذا الوضع الثقافي المتدني للعوام فان البعض منهم نال حظا من التعليم ووصل الى درجه علمية وثقافة متقدمة ودليل ذلك ان الفقيه المغيلي كان له ست مماليك من السودان كلهم وصلوا الى درجة علمية رفيعة بدليل انهم كانوا يحفظون المدونة عن ظهر قلب، الامر الذي جعل الامام المغيلي يقدم احدهم واسمه ميمون ليناظر علماء فاس المشهورين في موضع اليهود وموقف الاسلام والمسلمين منهم[٦٩].

وبازدياد عدد العلماء والفقهاء فقد تحالفت السلطة السياسية معهم خاطبة ودعهم ساعية لمباركتهم لاعمالها حتى ان القضاة يميزون في جلوسهم عند السلطان ولايقوم ذلك السلطان الالالعلم والحجاج اذا قدموا من مكة ولاياكل معه الا العلماء والشرفاء ولم يعد التحالف قائما على ماعرف عن ارتباط العلماء بالتجارة وانما تعدها الى اساس البنية الاقتصادية في البلاد السودانية الاوهو الزراعة. وتجلت العلاقة بين الحاكم واولئك

العلماء في اعطائهم الاقطاعات الزراعية الواسعة بعبيدها واعفائهم من الضرائب وتكاليف السلطنة من ضيافة عمال أو وظائف مستحدثة وتظهر هذه الاقطاعات والاعفاءات في سونغاي وبرنو بصوره جليلة واضحة لان الدولتين تطورتا كدولتين زراعيتين من الدرجة الاولى(٧٠).

المعلمين من العامة

كان التعليم في بداية أمره حكرا على الاساتذه القادمين من شمال افريقيا ثم تكونت طبقة مثقفة من الافريقيين أنفسهم، تولت بدورها المهمة التثقيفية والتعليمية بعد تخرجها مباشرة من المدارس والمعاهد العربية والاسلامية من المغرب ومصر واغلبية هولاء كانوا رجال الدين الذين اتقنوا اللغة العربية ومارس التعليم بها لانها كانت لغة الدين والسياسة(٧١).

وتفوق المعلمون فكان لايجلس للتعليم الاالمطلعون وغزيروا العلم والمعرفة ومما يدل على سعة اطلاعهم وغزارة علمهم ان امهات الكتب التي تدرس في المشرق والمغرب كانت تدرس في السودان الغربي، مما يدل على ارتفاع المستوى التحصيلي للمدرسين في زمانهم وسعة اطلاعهم(٧٢).

ان من صفات المعلمين واخلاقهم العظيمة الشجاعة في الحق، فكانت لاتاخذهم في الله لومة لاءم وقد حدث وان اتهم الاسكيا ابن اخت القاضي عمر الساكن بالنميمه ظلما ووصل الحوار بين هذا القاضي أسكيا الكبير(الحاج محمد) لدرجة ان قال القاضي لأسكيا (انك انت النمام ياأسكيا النمام)(٧٣).

ومن صفاتهم ايضا كانوا نشطين في نشرهم للعلم والثقافة وخير مثال على ذلك الامام المغيلي الذي كان شعلة من النشاط فقد تنقل بين البلاد من ولاته الى المغرب ثم الى السودان ثم الى كانوا وكاو وتبكت ومراكش للمرة الثانية ثم عاد الى بلاد السودان حيث توفي بها ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م وتولى التدريس في هذه الاماكن التي ارتحل اليها مما يدل على مكانته وفضله وحبه للعلم(٧٤).

ومن اخلاقهم الجميلة المحببة لدى الطلاب ايضا انهم كانوا اصحاب صبر عظيم على طلابهم فيقول احمد بابا(٧٥) عن استاذه محمد بغيع: "وكان له صبرا عظيم على التعليم اناء الليل والنهار وله القدرة على ايصال الفائدة للبليد لاملل ولاكسل حتى يضجر حاضره وهو لا يكترث فنفسه الله به كثيرا".

وكانوا يحبون طلابهم بدرجة كبيرة حتى انهم كانوا دائمي النصح لهم بمحبة العلم والسعي في تحصيلة وتعلم ومحبة أهله وبذل نفائس الكتب لهم ومما حبب الطلاب فيهم ايضا انهم كانوا اصحاب سكينة ووقار وعفة

ونزاهة وتواضع شديد حتى ان كل من جاءهم يدخل عليهم بلا استئذان ولذا كان يرفدهم الناس من كل فج ويرسلون اليهم الهدايا[٧٦].

كما كان المعلمون والفقهاء اصحاب صبر عظيم في مواجهة المحن التي تنزل عليهم ولم يثنهم عن ذلك هدفهم العلمي الاصيل فقد وضع معظمهم في الاسر في المحرم من عام ١٠٠٢هـ مع اسرهم على يد قواد الغزو المغربي وأحمد بابا التبكتي خير شاهد على هذا البلاء الذي نزل به وبهولاء العلماء واسرهم، وانتهت هذه المأساة يوم الاحد ١٠٠٤هـ بالفراج عنه وعنهم ففرحت قلوب المؤمنين لذلك ولكن اكثر كتبه ضاعت في هذه المحنه القاسية ورغم كل ماحدث فان احمد بابا اعطى بسخاء في ميدان العلم، فأخذ يدرس في جامع الشرفاء بمراكش والتف حوله الطلاب المغاربة ينهلون من علمه الغزير ولقد شهدوا له بالبراعة العلمية[٧٧].

طرق التحصيل والتعليم ووسائله:

١- الكتابة على الالواح: كان الطلاب وخاصة المبتدئين منهم يكتبون على الالواح المصنوعة من الخشب وغيره ولقد اكد ذلك القاضي محمود كعت [٧٨] فقال:"لقد رأيت ألواح الصبيان في عرض دار المعلم وعددت منها وثلاثة وعشرين لوحاً".

٢- الحفظ: كان الحفظ ضرورة لاستكمال شروط التعليم في تلك العصور.

٣- السؤال والمناقشة: يعتمد هذا الاسلوب على الحوار بين الاستاذ وطلابه وتكون بداية الحوار والمناقشة بين الاستاذ وطلابه عبارة عن سؤال يوجهه احد الطلاب الى الاستاذ ومن ثم يصبح هذا السؤال ميدانا لطرح بعض القضايا العلمية المرتبطة بالسؤال، يشترك فيها الاستاذ والطلبة معا[٧٩].فكانت طريقة شرح النحو تعتمد على الاستنساخ اذ يقرأ الطالب النص الادبي ويناقش الحاضرون من خلاله بعض المسائل النحوية ثم تستخرج القاعدة المطلوبة[٨٠].وكان هذا النوع من من اساليب التدريس متبعا في السودان الغربي لاسيما في مملكة مالي ودليل ذلك ماورده السعدي[٨١] عن احمد بابا الذي يقول عن أستاذه بغبغ:" وختمت عليه الموطأ قراءة فهم، وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتدقيق...وأصول السبكي بشرح المحلي ثلاث مرات قراءة تحقيق وباحثته كثيرا في المشكلات وراجعته في المهمات".

٤- اسلوب السماع:هو ان يسمع الطالب من لفظ شيخه فالشيخ يلقي مالديه من علم والطالب يستمع الى حديثه أو ان يسمع الطالب من لفظ شيخه سواء احادثه الشيخ من كتاب يقرأه ام من محفوظاته وسواء املي عليه أم لم يمل عليه وقد ظهر هذا الاسلوب نتيجة الاهتمام بالحديث النبوي الشريف حيث وجدوا هذا الاسلوب الطريقة المثلى لحفظ الحديث ونقله بين المسلمين، لاسيما وان المسلمين كانوا في البداية على معرفة بسيطة بالكتابة لذا اعتمدوا على السماع في حفظ الاحاديث[٨٢]. وكان هذا الاسلوب متبعا في السودان الغربي في

التدريس فيذكر السعدي[٨٣] قول احمد بابا التبكتي في ترجمة شيخه:" قرأت عليه صحيح البخاري نحو النصف...وسمعت بلفظه جامع المعيار للونشريسي كاملا"

وممن اجيز برواية العلم من العامة عن طريقه:

١- اجازة سماعية:وهي تعني ان الطالب تتبع أقوال العالم وحفظها.
٢- اجازة العرض: أي سرد الطالب على أستاذته مع استذكار للنصوص ومعرفته بشروحها.
٣- الاجازة الكاملة وهي عادة ماتكون في آخر مرحلة تعليمية وهي المرحلة التي يصل فيها الطالب الى ذكر الاسانيد وارجاعها الى مصادرها الاولى ومعرفته للروايات بعد التمكن من علم من العلوم[٨٤].

والاجازة لاتعطي أو تمنح للطالب الافي أحيان نادرة أي عندما يتأكد الاستاذ أو الشيخ ان الطالب متمكن من مادة أو فن معين وأنه يتقنه اتقانا تاما ويلاحظ مواظبته على دراسة هذا الفن واهتمامه به، وعن هذه المرحلة يكلف الطالب المجاز بان يلقي درسا في حضور الاستاذ لتكون لديه القناعة التامة في الاجازة التي سيصدرها والشهادة التي سيشهد بها[٨٥]. ومنح الاجازات نوعان:

١- اجازة تمنح للطالب في المكان الذي يقطن فيه العالم المانح للاجازة، وقد يرتحل الطالب من بلده الى بلد استاذه بقصد الدراسة عليه ومنحه الشهادة وقد يرسل الاستاذ الاجازة الى تلميذه في بلده.
٢- قد تمنح الاجازة للطالب خارج بلده وعادت ماكانت تمنح في الاراضي المقدسة[٨٦]. فعندما حج محمد بن احمد التازختي[*] والذي حج بصحبة الفقيه محمود اجازه في مكة ابو البركات النويري وعبد القادر وعلي بن ناصر الحجازي وابو الطيب البستي[٨٧].

وحرص العاقب بن محمود بن عمر بن محمد بن أقيت بن يحيى الصنهاجي قاضي تمبكتو على الاجازة فرحل وحج ولقي الناصر اللقاني وابا الحسن البكري والبشكري وطبقتهم، واجازه الناصر اللقاني كل مايجوز له وعنه[٨٨].

وأجاز قطب النهروالي مفتي مكة الحاج ابراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠م بعد ان ظل لفترة يطلب العلم على يده في سند الحديث المسلسل بالاولية الاول والثاني والحديث العشاري والاربعون حديثا، كما اجازه في سند صحيح البخاري وسند صحيح مسلم والسنن لابي داوود والجامع للترمذي والسنن الصغرى للنسائي والسنن الكبرى للنسائي ايضا والسنن لابن ماجة والموطأ للأمام مالك وجامع الاصول لابن الاثير وتيسير الوصول للدنيع والترغيب والترهيب للمنذري والشمائل النهرية للترميذي والشفاء للقاضي عياض[٨٩].

ولم يقف الامر عند تلقي علماء السودان الغربي اجازات علمية عن طريق المراسلة بل قاموا هم أنفسهم بمنح أجازات علمية عن طريق المراسلة لبعض تلاميذهم ومن امثلة ذلك الاجازة التي منحها أحمد بابا لتلميذه عبد الرحمن التمنرتي الذي لاحمد بابا ان سمع بأخباره وعلمه وتقواه اثناء اقامة الاخير في مراكش وكان الفقيه عبد الرحمن التمنرتي وقبل حصوله على هذه الاجازة قد ولي القضاء واشتهر بالافتاء والاجتهاد ما جعل أخباره العلمية معروفة لدى استاذه أحمد بابا التنبكتي [٩٠].

الاستنتاجات

من خلال تحليل الافكار والطروحات التي تم استعرضها في متن البحث يمكن ان نستخلص النتائج الاتية:

١. اضطلع بالنشاط الثقافي في ممالك السودان الغربي بعض من افراد الطبقة الحاكمة، ولم تشمل كل طبقات المجتمع وذلك بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها هذه الطبقه.
٢. شهدت البلاد وجود العديد من المؤسسات التعليمة وان كانت بسيطة في بدايتها الانها قاربت ماكن موجود عند العرب المسلمين من حيث ابتداء الدراسة بالمساجد ثم الانتقال الى المؤسسات الاعلى منها تدريجيا.
٣. صعوبة الحصول على وسائل القراءة والكتابة، فيظطر طالب العلم منها استخدام الواح الخشب لتدوين ملاحظاتهم، او اللجوء الى اسلوب الحفظ عن ظهر قلب ان اضطر الى ذلك.
٤. اهتم ملوك السودان الغربي بالعملية التعليمة فنجد ان اغلب امرائها وملوكها قد اقتنوا الكتب في مكتباتها الخاصة مما يدل على اهتمامهم بالعلم والمعرفة.

هوامش البحث

[١] عبد العزيز، ابن بطوطه في بلاد السودان الغربي ٧٣١-٧٥٤هـ/ ١٣٣١-١٣٥٣م)، ص٥٤.
[٢] الدوري، تاريخ المسلمين في افريقيا، ص٢١٨.
[٣] طرخان، الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والاوسط، ص٥٤.
[٤] رودين، أوربا والتخلف في أفريقيا،، ص٧٣.
[٥] الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١، ص ١٩١؛ الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٧.
[٦]صبح الاعشى في صناعة الانشا،، ج٥، ص ٢٦٣.
[٧]صورة الارض،، ج١، ص١٥-١٦.
[٨]نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، ج٢، ص٩٢٢.
[٩]وصف افريقيا،ج١، ص٢٧-٢٨.
[١٠] التونسي، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان،، ص١٣٢؛ زبادية، مملكة الاسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١،ص١٥؛ عبدالعزيز، ابن بطوطة في السودان الغربي ٧٣١/٧٥٤هـ-١٣٣١/١٣٥٣م، ص٥٦-٥٧؛ لانجي،ممالك تشاد وشعوبها، تاريخ افريقيا العام، مجلد الرابع،ص٢٤٧.
[١١]وصف افريقيا، ج٢، ص ١٦٤-١٦٥.

(*)أبو عبد الله أندغ محمد بن عثمان بن نوح بن الفقيه المختار (ت ٩٤٢ه/ ١٤٦٣م) علم من أعلام غرب افريقيا من ابناء القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، مدحه عدد من المؤرخين بأنه معدن العلم والفضل والصلاح، تولى منصب القضاء في مدينة تمبكتو في أواسط القرن التاسع عشر/الخامس عشر الميلادي، التقى بالعالم المصري عبد الرحمن السيوطي في رحلته لمصر، وقد عمل بالتدريس حتى وفاته. الأرواني،السعادة الابدية في التعريف بعلماء البهية، ص ٨٢، ١١٦، ١٢٠؛ السعدي، تاريخ السودان، ص ٢٨؛ البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، ص ١١٢؛ ميغا، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، ص ١٨٦.

(١٢) الأرواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تمبكت البهية، ص ٧٢-٧٣.
(١٣)الدالي، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، ص١٠٥-١٠٦.
(١٤) الدالي، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، ص١٠٧.
(*)يطلق على هذا الجامع بجنكري بيري، أي المسجد الكبير شيده السلطان منسا موسى بعد رجوعه من الحج وقد بناه المهندس أبو اسحاق الساحلي وعبد الله الكومي الموحدي الغدامسي على الطراز المغربي الاسلامي وبنى صومعته على خمس صفوف كان ذلك في اوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وقد الحقت به من جهة اليمين قبورهم ثم اجريت عليه عدة توسعات على يد العاقب بن القاضي محمود، ثم اكمل اسكيا داوود ماعجز عنه العاقب من توسعة المسجد، للجامع الكبير وقع خاص في نفوس ابناء تنبكت وهالة روحية فهم يعتقدون ان عمارة تمبكت وازدهارها مقرونه بعمارة صومعة الجامع الكبير ومرد ذلك الى الى الهيمنه الروحية التي كانت تسيطر عليها ومن المحتمل ان تكون قد نسجت حوله خرافات واساطير اعطته هذه الهالة والقداسة الروحيه.للمزيد ينظر الارواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تبكت البهية، ص ٧٢؛ الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٥٣-١٥٥.
(١٥)أحمد، حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي، ص ٢٧٦-٢٧٧.
(١٦)السعدي، تاريخ السودان، ص٨؛ ميغا، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، ص٥٠
(١٧) كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، ص١٢٥.
(*) مسجد سيدي يحيى: يفيد عدد من المؤرخين بأنه أول جامع بني في مدينة تمبكت على يد سلطان مقشرنا لطارقي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وتورد بعض الروايات الشفوي هان الجامع شيد على ضريح رجل من الصالحين قدم من المغرب الاقصى لنشر الدين الاسلامي، جدد بناؤه عدة مرات ففي المرة الاولى على يد الشيخ محمد نض ثم، ثم جدده العالم العاقب ووسعه عام ٩٧٦ه/ ١٥٦٨م افرنجي وقد تعاقبت عليه عدد من الائمة منهم سيدي يحيى ومحمد بغبغ ومحمود بن محمد الونكري الذي توفي عام ١٠١٨ه/ ١٦٠٩ افرنجي وغيرهم. للمزيد ينظر الارواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، ص٧٢؛ الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٥٥-١٥٦؛ ميقا، اشهر علماء تمبكت وجنى واثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي، ص٢٢٨.
(١٨) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص ١٦٠؛ الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٦٣.
(١٩) الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٥١.
(٢٠) درويش، دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغى، ص ١٦٨.
(٢١) البسام، الحياة العلمية في افريقية في عصر بني زيري،ص١١٢.
(٢٢) زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١م، ص١٤٢-١٤٣.
(٢٣) زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١م، ص١٤٤.
(٢٤) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص ١٤١.
(٢٥) أدب الرحلات(رحلة ابن بطوطة)، ص٦٦٤.
(٢٦) زيادة،أفريقيات دراسات في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي، ط١، ص٣٥٠.
(٢٧) السعدي،تاريخ السودان،ص٣٧-٥١؛ زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١م،ص١٤٤؛ زيادة،أفريقيات دراسات في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي، ص٣٥٠.
(٢٨) أحمد، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي،ص٢٢١-٢٢٢.
(٢٩) الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص١٦٥-١٦٦.
(٣٠) زيادة، أفريقيات دراسات في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي، ص٣٥٠.
(٣١) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص ١٤١.
(٣٢) الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي، ص٥٤.
(٣٣) سليم، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الاسلامية، ص ٣١٧-٣١٨.
(٣٤) كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، ص٦٤.
(٣٥) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص ١٦٠
(٣٦) أحمد، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربيد، ص٢٢٤.
(٣٧) النحوي: الخليل، بلاد شنقيط المنارو والرباط، ص ٨١-٨٢.
(٣٨) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص٩٥-٩٦.
(٣٩) زبادية، القرن ١٦ وحركة التعليم في تمبكتو، ص ٢٠٨-٢٠٩.
(٤٠) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص٩٧-٩٨.
(٤١) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص ١٠٤.
(٤٢) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص ٨٠.
(٤٣) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص١١٠ -١١٣.
(٤٤) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص ١١٣-١١٤.
(٤٥) النحوي، بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي ص ١٢٠.
(٤٦) أدب الرحلات(رحلة ابن بطوطه)، ص٦٧٣.

(*)الامام ورش هو عثمان بن سعيد المصري القبطي الاصل (١١٠-١٩٧ه/ ٧٣٨-٨١٢م)، شيخ القراء المحققين وامام اهل الاداء المرتلين انتهت اليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية في زمانه ولد بمصر ورحل الى نافع بن نعيم فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة خمس وخمسين ومائة، لقبه استاذه نافع بـ"ورش" لانه كان على قصره يلبس ثيابا قصارا وكان اذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف الوانه فكان نافع يقول هات ياورشان واقرأ ياورشان، ثم خفف فقيل:ورش والورشان طائر معروف وقيل ان الورش شئ يصنع من اللبن لقب به لبياضه ولزمه ذلك حتى صار لايعرف الابه. للمزيد ينظر ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٤٤٦.

(*)الامام قالون وهو عيسى بن مينا بن وردان عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي، قارئ المدينة ونحويها، يقال انه ربيب نافع وقد اختص به كثيرا وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته فأن قالون باللغة الرومية جيد، وشتهر بقراءة القران الكريم وعلوم العربية للمزيد ينظر ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، ص٥٤٢.

(٤٧) الداي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٦٢؛ الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغى، ص٦٠-٦١.

(٤٨) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص ١٤٦.

(٤٩) كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، ص ١٨٠-١٨١.

(٥٠) زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين١٤٩٣-١٥٩١م، ص ١٠٣.

(٥١) الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٥١.

(٥٢) درويش، دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغى، ص ١٦٨-١٦٩.

(٥٣) وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٠

(٥٤) زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين١٤٩٣-١٥٩١م، ص ١٤٣-١٤٤.

(٥٥) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص ١٤٤-١٤٥.

(٥٦) كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، ص ٦٤.

(٥٧) تاريخ السودان، ص ٥٣.

(*)مختصر خليل:صاحب المختصر هو خليل بن اسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري من رجال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد وهو أمام شهير وقد حمل لواء مذهب مالك في مصر في زمانه، وقد وضع مختصرا على مذهب الامام مالك بن أنس وقد طالت شهرته بالسودان الغربي، والفت العديد من الكتب في شرحه وقد توفي الشيخ الخليل ابن اسحاق عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٤م للمزيد ينظر فودي،انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص٣١٥.

(*)محمود بن عمر بن محمد بن أقيت: ابن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي السوفي قاضي تمبكت أبو الثناء وابو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وامامها بلا مدافع، تولى قضاء عام أربعة وتسعمائة فشدد في الامور وسدد وتوخى الحق في الاحكام، فانتفع به بشر كثير وأحيا بتلك العلم البلاد واشتهر هناك وكثر طلبته في الفقه ونجب منهم جماعة كثيرة وكان اكثر مايقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل الالفية والسلالجية، وحج في عام خمسة عشر وتسعمائة وطال عمره فالحق الابناء بالاباء حتى توفي سنة خمسة وخمسين ليلة الجمعة سادس عشر رمضان للمزيد ينظر التنبكتي،نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٦٠٧؛البرتلي:، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، ص١١٣-١١٤.

(٥٨) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٢٩٥.

(٥٩) كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس ص ١١١ ؛ زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين، ١٢٤-١٢٥؛ سيسوكو، الصنغى من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر،ج٤، ص ٢٢٠.

(٦٠) الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء.ص ١٦٧.

(٦١) غرياني، العامة في دولة صنغي، ص ١٨٦.

(٦٢) نوري، تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، ص١٥٧.

(٦٣) أحمد، حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي افريقيا، ص٦٥٥.

(٦٤) كعت، التاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، ص ١٢٩؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٤٨.

(٦٥) غرياني، العامة في دولة صنغي، ص ١٨٩.

(٦٦) غرياني، العامة في دولة صنغي، ص ١٨٩.

(٦٧) موسى، دراسات اسلامية في غرب افريقية، ص١١٤.

(٦٨) المغيلي، اسئلة الاسقيا واجوبة المغيلي، ص٢٧

(٦٩) المغيلي،مخطوط مصباح الارواح في اصول الفلاح،، ص ١٨.

(٧٠) موسى، دراسات اسلامية في غرب افريقيا، ص١١٧.

(٧١) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص ١٤٣-١٤٤.

(٧٢) السعدي، تاريخ السودان، ص ٢٧-٢٩.

(٧٣) السعدي، تاريخ السودان، ص ٤٣.

(٧٤) الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي، ص ٧٠.

(٧٥) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٦٠٠.

(٧٦) التبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٦٠٠.

(٧٧) الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي، ص ٧٢؛الزركلي، الاعلام، ج١، ص١٠٢.

(٧٨) الفتاش، ص ١٨٠-١٨١

(٧٩) سليم، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الاسلامية، ص ٣٢٠.

(٨٠) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص١٤٤.

(٨١) تاريخ السودان، ص ١٧٥-١٧٦.

(٨٢) الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي، ص٨٨؛سليم، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الاسلامية، ص ٣١٩-٣٢٠.

[٨٣] تاريخ السودان، ص ١٧٥-١٧٦.
[٨٤] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٦٩.
[٨٥] السعدي، تاريخ السودان، ص ٦٠٢؛ سليم، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الاسلامية، ص ٣٢٢.
[٨٦] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص١٦٩.
[*] محمد بن احمد التازختي: فقيها عالما فهاما محدثا متقنا محصلا جيد الخط حسن الفهم كثير المنازعة وقرأ ببلاده على جده الفقيه الحاج أحمد بن عمر وعلى خاله الفقيه علي وحصل ولقي بتكدة الامام المغيلي وحضر درسه ثم رحل للشرق بصحبة الفقيه محمود فلقي اجلاء كشيخ الاسلام زكرياء والبرهانين القلقشندي وابن ابي شريف وعبد الحق السنباطي وجماعة فأخذ عنهم علم الحديث وسمع وروى وحصل واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين وحضر دروس الاخوين اللقانيين وتصاحب مع احمد بن عبد الحق السنباطي وحصل اجازة من مكة ثم رجع الى بلاد السودان وتوطن كشن فأكرمه صاحبها وولاه قضائها توفي في حدود ست وثلاثين وتسعمائة عن نيف وستين سنه. التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.
[٨٧] الشامي، الحج واثره الحضاري في دولتي مالي وصنغى، ص ١٩٩.
[٨٨] الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء، ص ١٧٥-١٧٦؛التبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج١، ٣٧٧-٣٧٨؛السعدي، تاريخ السودان، ص ٤١.
[٨٩] الشامي، الحج واثره الحضاري في دولتي مالي وصنغى، ص ٢٠٠.
[٩٠] أحمد، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ص ٢٣١.

المصادر والمراجع

اولا: المخطوطات

- المغيلي: محمد بن الكريم(ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م)

١. مخطوط مصباح الارواح في اصول الفلاح، مصورة من نسخة مخطوطه بدون رقم التصنيف بمكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، اولف –أدرار (توات)، الجزائر.

ثانيا: المصادر الاولية

- الأرواني: مولاي احمد بابير

١. السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط١، دار الكتب الوطنية (بنغازي: ٢٠٠١م).

- الادريسي: ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحموي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)

٢. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، مطبعة عالم الكتب (بيروت: ١٩٨٩م).

- ابن بطوطه: محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٣. ادب الرحلات (رحلة ابن بطوطة)، دار التراث (بيروت: ١٩٦٨م).

- البرتلي: ابي عبد الله الطالب محمد بن ابي بكر الصديق الولاتي

٤. فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، ط١، (بيروت: ١٩٨١م).

- التنبكتي: احمد بن احمد بن آقيت(ت١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)

٥. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق ناطق صالح مطلوب، مطبعة نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه، ط٢، دار الكاتب، (طرابلس: ٢٠٠٠م).

- التونسي: محمد بن عمر(١٢٤٧هـ/١٨٥٧م)

٦. تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسّعد، المؤسسة المصرية العامة (القاهرة: ١٩٦٥م).

- الجاحظ: أبي عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م)

٧. رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للطباعة(مصر: ١٩٦٤م).

- ابن الجزري: شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ/)

٨. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج.برجستراسر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٦م).

- ابن حوقل: ابي القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي(ت٣٩٧هـ/٩٧٧م)

٩. صورة الارض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر (بيروت: ١٩٩٢م).

- السعدي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر(ت١٠٦٦هـ/١٦٥٥م)
١٠. تاريخ السودان، نشر هوادس(باريس: ١٩٦٤م).
١١. تقويم البلدان، مطبعة دار الطباعة السلطانية(باريس: ١٨٤٠م).
١٢. المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة، (بيروت: د.ت).
- فودي: محمد بلو بن عثمان بيلو(ت ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م)
١٣. انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق جي تي وتنك نشر لوزاك، (لندن: ١٩٥٧م).
- القلقشندي: احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)
١٤. صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت: د. سنة الطبع).
- كعت: محمود بن المتوكل التنبكتي (ت ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م)
١٥. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس، نشر هوادس(باريس: ١٩٦٤م).
- الوزان: حسن بن محمد الفاسي، المعروف بـ: ليو الافريقي(٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م)
١٦. وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢، دار الغرب الاسلامي(بيروت: ١٩٨٣م).

ثالثا: المراجع الحديثة:

- أحمد: مهدي رزق الله
١. حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي افريقيا قبل الاستعمار واثارها الحضارية، ط١، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، (الرياض: ١٩٩٨م).
- البسام: لطيفة بنت محمد
٢. الحياة العلمية في افريقية في عصر بني زيري، مطبعة مكتبة الملك عبد العزيز، (الرياض: ٢٠٠١م).
- الدالي: الهادي المبروك
٣. التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، د. اسم المطبعة (طرابلس: ٢٠٠٠م)
٤. التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، ط١، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة: ١٩٩٩م).
٥. مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن ١١٥م، دار الملقى للطباعة والنشر(بيروت: ٢٠٠١م).
- الدوري: تقي الدين وخولة شاكر الدجيلي
٦. تاريخ المسلمين في افريقيا، ط١، دار الكتب الوطنية(أبو ظبي: ٢٠١٤م).
- رودين: ولتر
٧. أوربا والتخلف في أفريقيا، ترجمة احمد قيصر، سلسلة عالم المعرفة، د. اسم مطبعة (الكويت: ١٩٩٨م).
- زبادية: عبد القادر
٨. مملكة الاسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع(الجزائر: د.ت).
- الزركلي: خير الدين
٩. الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٠م).
- زيادة: نقولا
١٠. أفريقيات دراسات في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، (لندن: ١٩٩١م).
- سيسوكو: سينيسكي مودي
١١. الصنغى من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، المطبعة الكاثوليكية(بيروت: ١٩٨٨م).
- طرخان: ابراهيم علي
١٢. الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والاوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، د. اسم مطبعة (القاهرة: ١٩٦٩م).

١٣. امبراطورية غانة الاسلامية، المطبعة الثقافية(القاهرة: ١٩٧٠م).
- عبد العزيز: محمد فتحي

١٤. ابن بطوطه في بلاد السودان الغربي ٧٣١-٧٥٤هـ/ ١٣٣١-١٣٥٣م)، ط١، مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة: ٢٠١٧م).
- الغربي: محمد

١٥. بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، اشراف نيقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، (الكويت: د.ت).
- قداح: نعيم

١٦. نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، مراجعة عمر الحكيم، مطبعة الوحدة العربية، (دمشق: ١٩٦٤م).
- لانجي: ديريك

١٧. ممالك تشاد وشعوبها، تاريخ افريقيا العام، مجلد الرابع، أفريقيا من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر(المطبعة الكاثوليكية: ١٩٨٨م).
- موسى: عز الدين

١٨. دراسات اسلامية غرب افريقية، ط٢، دار الغرب الاسلامي(بيروت: ٢٠٠٣م)
- ميغا: أبو بكر اسماعيل

١٩. الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي ٤٠٠-١١٠٠هـ في عهد الممالك الاسلامية غانا – مالي- سنغاي التي قامت في غرب افريقيا بين القرن الرابع الهجري والحادي عشر الهجري، مكتبة التوبة (الرياض: د.سنة الطبع).
- النحوي: الخليل

٢٠. بلاد شنقيط المنارو والرباط، مكتبة المنتدى الاسلامي(تونس: ١٩٨٧).
- نوري: دريد عبد القادر

٢١. تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤-١٠هـ/ ١٠-١٦م(الموصل: ١٩٨٥م)

رابعا: البحوث ودوريات

- زبادية: عبد القادر

١. القرن ١٦ وحركة التعليم في تمبكتو مركز التبادل الثقافي الاول مع العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد١٤.
- ميقا: ابو بكر اسماعيل محمد

٢. اشهر علماء تمبكت وجنى واثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، محرم ١٤١٥هـ، العدد١١.

خامسا: الرسائل والاطاريح الجامعية

- الباز: أحمد السيد

١. الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغى(٦٣٨-٩٩٩هـ/١٢٤٠-١٥٩١م) رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات الافريقية (القاهرة: ١٩٩٤م).
- درويش: احمد سيد حسين

٢. دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغى(٦٣٦-١٠٠٠هـ/ ١٢٣٨-١٥٩١م)، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات الافريقية، ٢٠٠٧م.
- سليم: فريد عبد الرشيد فريد

٣. العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الاسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة مقدمة الى جامعة الزقازيق /كلية الاداب، لعام ٢٠١٥م.
- غرياني: بطل شعبان

٤. العامة في صنغي (٨٦٩-١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤-١٥٩١م)، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات الافريقية، ٢٠١١م.